

تفسير البحر المحيط

@ 503 ذكرَ وَ أُنْثَى { ، فَجَعَلَ مِنْهُُ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى . انتهى . وقيل : بدأ بالأنثى ثم ثنى بالذكر ، لتنقله من الغم إلى الفرح . وقيل : ليعلم أنه لا اعتراض على إا فيرضى . فإذا وهب له الذكر ، علم أنه زيادة وفضل من إا وإحسان إليه . وقيل : قدمها تنبيهاً على أنه إذا كان العجز والحاجة لهم ، كانت عناية إا أكثر . وقال مجاهد : هو أن تلد المرأة غلاماً ، ثم تلد جارية . وقال محمد بن الحنفية : أن تلد توأماً ، غلاماً وجارية . وقال أبو بكر بن العربي : أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً . قال علماؤنا : يعني آدم ، كانت حواء تلد له في كل بطن توأمين ، ذكراً وأنثى ؛ تزوج ذكر هذا البطن أنثى البطن الآخر . انتهى . .

ولما ذكر الهبة في الإناث ، والهبة في الذكور ، اكتفى عن ذكرها في قوله : { وَأَوْ يُزَوَّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْثَاءً } . ولما كان العقم ليس بمحمود قال : { وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا } ، وهو قسم لمن يولد له . ولما كانت الخنثى مما يحزن بوجوده ، لم يذكره تعالى . قالوا : وكانت الخلقة مستمرة ، ذكراً وأنثى ، إلى أن وقع في الجاهلية الأولى الخنثى ، فستل فارض العرب ومعمرها عامر بن الطرب عن ميراثه ، فلم يدر ما يقوله وأرجأهم . فلما جن عليه الليل ، جعل يتقلب وتذهب به الأفكار ، وأنكرت خادمه حاله فسألته ، فقال : بهرت لأمر لا أدري ما أقول فيه ، فقالت له : ما هو ؟ فقال : شخص له ذكر وفرج ، كيف يكون حاله في الميراث ؟ قالت له الأمة : ورثه من حيث يبول ، فعقلها وأصبح فعرضها عليهم ، فرضوا بها . وجاء الإسلام على ذلك ، وقضى بذلك علي ، كرم إا وجهه ، إنه عليم بمصالح العباد ، قدير على تكوين ما يشاء . .

كان من الكفار خوص في معنى تكليم إا موسى ، فذهبت قريش واليهود في ذلك إلى التجسيم ، فنزلت . وقيل : كانت قريش تقول : ألا تكلم إا وتنظر إليه إن كنت نبياً صادقاً ، كما كلمه موسى ونظر إليه ؟ فقال لهم الرسول عليه السلام : (لم ينظر موسى إلى إا) ، فنزلت : { وَمَا كَانَ لِيَبْشَرِ أَنْ يُكَلِّمَهُُ اللَّهُ } ، بياناً لصورة تكليم إا عباده أي ما ينبغي ولا يمكن لبشر إلا يوحى إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام . قال مجاهد : أو النفث في القلب . وقال النقاش : أو وحي في المنام . وقال النخعي : كان في الأنبياء من يخط له في الأرض ، أو بأن يسمعه كلامه دون أن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزاً ، كموسى عليه السلام ، وهذا معنى { مِّنْ وَرَاءِ حِجَابٍ } : أي من خفاء عن المتكلم ، لا يحده ولا يتصور بذهنه عليه ، وليس كالحجاب في المشاهد ، أو بأن يرسل إليه ملكاً يشافهه بوحى إا تعالى ، قاله

ابن عطية . وقال الزمخشري : وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على ثلاثة أوجه : .
إما على طريق الوحي ، وهو الإلهام والقذف في القلب والمنام ، كما أوحى إلى أم موسى
وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده . وعن مجاهد : أوحى الله الزبور إلى داود عليه
السلام في صدره ، قال عبيد بن الأبرص : % (وأوحى إلى الله أن قد تأمروا % .
با بن أبي أوفى فقامت على رجل .

. %)

أي : ألهمني وقذف في قلبي . .

وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه ،
لأنه في ذاته غير مرئي . وقوله : { مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ } مثل ، أي : كما يكلم الملك
المحتجب بعض خواصه ، وهو من وراء حجاب ، فيسمع صوته ولا يرى شخصه ، وذلك كما كلم الله
موسى ويكلم الملائكة . .

وإما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحى الملك إليه ، كما كلم الأنبياء غير موسى
. انتهى ، وهو على طريق المعتزلة في استحالة رؤية الله تعالى ونفي الكلام الحقيقي عن الله .

وكل هذه الأقسام الثلاثة يصدق عليها أنها وحي ، وخص الأول باسم الوحي هنا ، لأن ما يقع
في القلب على سبيل الإلهام يقع دفعة واحدة ، فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى . وقيل : {
وَحْيًا} كما أوحى إلى الرسل بواسطة